بنية قصيدة المدح: دالية الأعشى الكبير أنموذجا

The Structure of the Panegyric poem : Daliyya of Al-A'sha al-Kabir as a Case Study

د. بدي الشيخ البخاري Dr.Beddy Cheikh El Boukhary
باحث في الأدب العربي
جامعة نواكشوط، الجمهورية الإسلامية الموريتانية
beddic73@gmail.com

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على العناصر المكونة لبنية قصيدة المدح في الشعر العربي القديم، وقد قسمناها إلى قسمين: قسم أول: يهتم بالجانب النظري، وقفنا فيه مع نماذج من أبرز مقولات النقاد العرب القدماء والمحدثين عن بنية قصيدة المدح في الشعر العربي القديم، وقسم ثان، يركز على الجانب التطبيقي، تناولنا فيه بالتحليل إحدى أشهر قصائد المدح في العصر الجاهلي، وهي دالية الأعشى الكبير (ميمون بن قيس بن جندل) في مدح رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وقد حاولنا في هذا القسم معرفة مدى اتسجابة دالية الأعشى الكبير لبنية قصيدة المدح كما حددها النقاد العرب والمحدثون على حد السواء.

الكلمات المفتاحية: البنية، قصيدة المدح، الشعر العربي القديم، الأعشى الكبير، النقاد العرب.

Abstract :

This study aims identify the constituent elements of the structure of the madih (panegyric) poem in classical Arabic poetry. It is divided into two main parts. The first part focuses on the theoretical dimension, examining selected views and propositions put forward by some of the most prominent classical and modern Arab critics concerning the structure of the madih poem in classical Arabic poetry. The second part addresses the practical dimension through an analysis of one of the most renowned panegyric poems of the pre-Islamic period, namely al-A'sha al-Kabir (Maymun ibn Qays ibn Jandal) Daliyya, composed in praise of the Messenger of God, Prophet Muhammad-peace and blessings be upon him, In this part, we seek to determine the extent to which al-A'sha al-Kabir poem as defined by both classical and modern Arab critics.

Keywords : structure ; madih (panegyric poetry) ; classical Arabic poetry ; al-A'sha al-Kabir ; Arab critics.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

عتبة:

يعتبر موضوع بنية القصيدة العربية القديمة من المواضيع التي نالت حيزا معتبرا من اهتمامات النقاد العرب القدماء والمحدثين على حد السواء، فقد نظروا إلى القصائد العربية القديمة التي تدور رحاها حول غرض المدح نظرا يطبعه التأمل وإعمال الفكر في مختلف مكوناتها، مما جعلهم يستنبطون العناصر المكونة لهيكلها، والمظاهر الفنية والمؤثرات السياقية التي تمتح منها قصيدة المديح ألقها وبهاءها.

1. النقاد العرب القدماء:

يعتبر ابن قتيبة من أبرز النقاد العرب القدماء الذين تحدثوا عن بنية قصيدة المدح حديثا يمتاز بمحاولة استكناه عناصرها الأساسية، ووضع نظرية متماسكة لها، وذلك في قوله "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، كما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسرى الليل، وحر الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزه للسماح، وفضله على الأشباه"[18]

هكذا نرى ابن قتيبة يتبنى رأي بعض أهل الأدب الذين يذهبون إلى أن لقصيدة المدح في العصر الجاهلي خصائص بنيوية يمكن أن نميز فيها ثلاثة عناصر؛ يتمثل العنصر الأول في المقدمة التي قد تكون طللية أو نسيبية، وتلعب المقدمة دورا بارزا في شَدّ الانتباه، واستمالة النفوس، أما العنصر الثاني فيتجسد في وصف الرحلة والراحلة، ويساعد هذا العنصر في كسب تعاطف الممدوح، وتهيئته للعنصر الثالث والأخير المتمثل في المدح، الذي يجعل الشاعر ينال الاستحسان ويحصل على الجوائز والعطايا.

[18] ، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص74_75

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

إن بنية قصيدة المدح عند ابن قتيبة تقوم على أسس نفسية، فالشاعر الجاهلي من هذا المنظور يوظف بناء قصيدته بطريقة واعية ومترابطة، بهدف ممارسة تأثير حقيقي على المتلقي، وهو تأثير يُمكّن الشاعر من نيل إعجاب المتلقي، وكسب رضاه، وبعثه على المكافأة.

ثم نجد ابن قتيبة بعد أن بَيَّن بنية قصيدة المدح يقول: "فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام"[19]

يمكن أن نستنتج من هذا الكلام أن ابن قتيبة يعترف ولو بشكل ضمني على أن هناك قصائد جاهلية في غرض المدح لم تتضمن كل العناصر المكونة لبنية هذه القصيدة، لذلك أراد أن يرشد الشعراء الذين ينوون القرض في غرض المدح إلى طريق الإجادة؛ الذي حدده في الالتزام بالعناصر الثلاثة المكونة لقصيدة المدح، وعليه فإن من يُغفل عنصرا أو اثنين من هذه العناصر، فإنّه سيُعرّض نفسه لتهمة الضعف، والعجز عن إدراك شأو المجيدين في هذا الميدان.

وبعد ابن قتيبة نجد حازم القرطاجني يقول متحدثا عن بنية القصيدة العربية القديمة: "والقصائد منها بسيطة الأغراض، ومنها مركبة، والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صِرفا أو رثاء صِرفا، والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين، مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح، وهذا أشد موافقة للنفوس صحيحة الأذواق"[20]

يذهب حازم القرطاجني نفس مذهب ابن قتيبة، ويؤكد على أنّ القصيدة التي تستجيب لأفق انتظار القراء العرب القدماء هي تلك القصيدة التي تشتمل على أكثر من غرض، لأنها ستكون ملائمة للنفوس، متقبلة عند أصحاب الأذواق السليمة.

إن النقاد العرب القدماء يَميلون إلى أن لبنية القصيدة العربية القديمة وظيفة نفسية نفعية، تجعل المتلقين أكثر تأثرا بهذا النوع من القصائد، وتقبلا له، فالانتقال من المقدمة إلى وصف الرحلة والراحلة قبل الولوج

[19] ، ابن قتيبة، مصدر سابق، ص75
[20] ، حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء،ج2، ص303

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

إلى الغرض الرئيسي يمنح القصيدة كل المواصفات المطلوبة حتى تمارس تأثيرها المرجو، لأنها ستأتي على هوى أصحاب الأذواق الصحيحة.

2. النقاد العرب المحدثون:

وفي حديثهم عن بنية قصيدة المدح نجد أن النقاد العرب المحدثين لم يبتعدوا كثيرا عما قاله أسلافهم من النقاد العرب القدماء، فهذا وهب رومية يقول متحدثا عن نظرية ابن قتيبة في بنية قصيدة المدح: "كان يريد أن يرسم صورة تقريبية للمنهج المألوف الذي كانت تسلكه الشعراء في بناء قصائد المديح، وكان يميز في هذا المنهج ثلاث مراحل أساسية واضحة: المقدمة، الرحلة، المدح. وهو في هذا يقترب من الواقع اقترابا شديدا، ولكنه لا يطابقه"[21]

ويتضح من كلام وهب رومية السابق أنه يتفق مع ابن قتيبة في الكليات أي في ما أسماه بالمراحل الأساسية الواضحة مثل: (المقدمة والرحلة والمدح)، ولكنه يختلف معه في الجزئيات، وسيبين لنا الجزئيات التي يختلف فيها مع ابن قتيبة في قوله: "فلا نحدُّ المقدمة بصورة أو بأخرى، بغزل أو طيف أو أطلال، بل نتسع في مفهومها فنضمّ إليها صورا شتى تَعوّد الشعراء أن يفتتحوا بها قصائدهم، كالحديث عن الشيب والشباب، أو الشكوى من الدهر، أو حديث الظعن، أو سوى ذلك...، ولا نحدُّ الرحلة بحديث الناقة أو البعير، بل نمتدّ بها ونوسّع من دائرتها أيضا، فنضمّ إليها قصص حيوان الصحراء جميعا، ولا نحدُّ المدح بالثناء وحده بل نوسّع من أطرافه، فنصل به شؤونا من القول أخرى توطّئ الشعراء عادة للمديح بها كالحديث عن الجدب والفقر والخوف، أو تصوير النفس والأولاد، أو حديث الزوج أو حوارها"[22]

إن كلام وهب رومية الأخير يعني أن ابن قتيبة قد ضَيَّقَ واسعا، حين حصر المقدمة _على سبيل المثال لا الحصر_ في الوقوف على الأطلال والنسيب، وأغفل ذكر مقدمات أخرى مثل الحديث عن الشيب والشباب، والشكوى من الدهر...، ونفس الشيء فعله ابن قتيبة مع وصف الرحلة وغرض المدح، فقد أغفل ذكر بعض أنواع العنصرين الأخيرين عن قصد أو عن غير قصد، لذلك قلنا إن الخلاف بين وهب رومية وابن قتيبة مَرَدُّه إلى الجزئيات أي التفاصيل الصغيرة، وليس إلى الكليات المتمثلة في العناصر الأساسية.

---

[21] ، وهب رومية، بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح نموذجا)، ص86

[22] ، المصدر نفسه، ص86 _ 87.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

ويرفض وهبة رومية فكرة النظر إلى قصيدة المدح بوصفها أشتاتا متفرقة لا يجمع بينها إلا الوزن والقافية، بل يؤكد على ضرورة النظر إليها "بوصفها كُلا واحدًا تضافرت على بنائه جزئيات شتى"[23]

أما حسين بكار فإنه يذهب إلى إمكانية تقسيم بنية القصيدة العربية القديمة إلى قسمين: "ذاتي وغيري، فلما كان الشاعر عضوا في المجتمع البدوي، وفي قبيلة كانت تفخر بالشعراء، وتقيم الولائم والحفلات احتفاء بنبوغ شاعر جديد، وجد الشاعر نفسه مضطرا إلى أن يخص ذاته بمقدمة القصيدة يتحدث فيها عن شؤونها"[24]

يرى حسين بكار أن القصيدة العربية القديمة ليست مخصصة تماما للممدوح كما ذهب النقاد العرب القدماء، بل هي مقسمة بينه وبين الشاعر، فجزؤها الأول المتمثل في المقدمة يخصصه الشاعر لنفسه أو لقومه، أما الجزء الثاني المتجسد في المدح فهو المخصص للشخص الممدوح.

إن النقاد العرب المحدثين تفاوتوا في قراءة ما توصل إليه النقد العربي القديم، فمنهم من اختلف مع النقاد العرب القدماء في الجزئيات كما فعل وهب رومية، ومنهم من نظر نظرة مختلفة بعض الشيء عن نظرة القدماء كما فعل حسين بكار.

3. قراءة في دالية الأعشى في مدح رسول الله "صلى الله عليه وسلم":

يقول الأعشى الكبير ميمون بن قيس بن جندل[25]:

1. ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم المسهدا
2. وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
3. ولكن أرى الدهر الذي هو خاتر إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
4. شباب وشيب وافتقار وثروة فللّه هذا الدهر كيف تردّدا
5. وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع وليدا وكهلا حين شبت وأمردا

---

[23] ، المصدر نفسه، ص21.
[24] ، يوسف بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، ص220
[25] ، الأعشى الكبير، الديوان، ص135 _137

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

6. وأبتذل العيس المراقيل تغتلي مسافة ما بين النجير فصرخدا
7. فإن تسألي عني فيا رب سائل حفي عن الأعشى به حيث أصعدا
8. ألا أيهذا السائلي أين يممت فإن لها في أهل يثرب موعدا
9. فأما إذا ما أدلجت فترى لها رقيبين جديا لا يغيب وفرقدا إذا
10. وفيها إذا ما هجرت عجرفية خلت حرباء الظهيرة أصيدا
11. أجدت برجليها نجاء وراجعت يداها خنافا لينا غير أحردا
12. فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تزور محمدا
13. متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تريحي وتلقي من فواضله يدا
14. نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا
15. له صدقات ما تغب ونائل وليس عطاء اليوم مانعه غدا
16. أجدك لم تسمع وصاة محمد نبي الإله حين أوصى وأشهدا
17. إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
18. ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد لما كان أرصدا ولا
19. فإياك والميتات لا تأكلنها تأخذن سهما حديدا لتفصدا ولا تعبد
20. وذا النصب المنصوب لا تنسكنه الأوثان والله فاعبدا
21. وصل على حين العشيات والضحى ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
22. ولا السائل المحروم لا تتركنه لعاقبة ولا الأسير المقيدا
23. ولا تسخرن من بائس ذي ضراعة ولا تحسبن المرء يوما مخلدا
24. ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا

أ. حول القصيدة:

تروي النصوص القديمات المبثوثة في بطون كتب الأدب العربي أن الأعشى الكبير ميمون بن قيس بن جندل نظم هذه القصيدة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الفترة الزمنية التي تفصل بين صلح الحديبية وفتح مكة، وأنه خرج من اليمن قاصدا المدينة المنورة، ليعلن إسلامه ويلقي قصيدته بين يدي رسول

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

الله صلى الله عليه وسلم، فعلم كفار قريش بذلك فاعترضوا طريقه، وأخذوا يغرونه بالمال ويعرضون عليه الهدايا، ويُبَغّضون إليه الإسلام حتى اقتنع في آخر المطاف بكلامهم، وعاد أدراجه إلى اليمن بعدما سمع منهم أن الإسلام يحرم معاقرة الخمر التي كان يدمن شربها، ويعشقها عشقا لا حدود له، وبعدما أخذ منهم مائة ناقة، وقد لقي الأعشى حتفه في عامه ذاك قبل أن يعتنق الإسلام، لكن قصيدته ذاع صيتها، وانتشر ذكرها في الآفاق، وكُتِبَ لها الخلود في نفوس متلقي الشعر العربي القديم.

ب. بنية القصيدة:

يستهل الأعشى قصيدته بمطلع بارع وبديع، يسائل فيه نفسه عن الأسباب التي جعلت النعاس يهجر جفونه، والنوم يأبى ويتمنّع أن يغشى عينيه، ليبيت ليلته تلك ساهرا، مؤرقا، كالذي أصابه الرمد، أو كالذي تم لدغه فاجتمع عليه السهر والألم، إنَّ شاعرنا حزين، متألم، يغني أحزانه في هذا البيت، فكل شيء يبدو أمام ناظريه مُعْتِما كئيبا، فقد اجتمعت عليه ظُلمة الليل وحزن القلب، إنّ هذا المطلع الحسن الجميل يوقظ نفس المتلقي، ويبعثها على الانتباه، ويثير فيها الانفعالات، ويدعوها للإصغاء لما سيأتي بعده من أبيات.

وإذا انتقلنا إلى البيت الثاني سنجد أنه يناسب البيت الأول في حسنه وبهائه، فشاعرنا يُصرّ ويُلحّ على أنّ الحال المريرة التي آل إليها، والوضع الصعب الذي يعانيه، ليسا بفعل حُبّ النّساء وعِشقهنّ، لأنّ حبل الوصل بينه وبينهنّ قد بليَ ورثّ منذ أمد بعيد، وتحديدا منذ نسي أو تناسى صداقة (مهددا).

وفي البيت الثالث نجد الأعشى يقول إنّ الدهر خؤون، والزمن غدار، فكلما أصلحت يداه شيئا، وحقق أمرا كان يصبو إليه، جاءت إحدى نوائب الدهر لتَنقُضَ غزله، وتفسد فرحته، وتُحوّل حياته من النقيض إلى النقيض.

نلحظ في البيتين السابقين أن الأعشى سعى جاهدا إلى نفي أن يكون لعشق النّساء وحبّهن أي دور في الآلام التي يقاسيها، والأحزان التي يَشقى بها، دون أن يذكر لنا السبب الذي يقف وراء ما أصابه من هموم، وما حَلّ به من أتراح، مكتفيا بإلقاء اللوم على الدهر! إن إصرار شاعرنا على إنكار دور العشق تحديدا في الوضع الذي استقر عليه أمره، يثير الريبة، ويدعو القارئ إلى اعتباره الاحتمال الأرجح، أو إلى عدم استبعاده على الأقل!

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

وفي البيتين الرابع والخامس نجد شاعرنا يوظف أسلوب الثنائيات الضدية أحسن توظيف، من خلال استخدام طباق الإيجاب (شباب وشيب) (وافتقار وثروة) للتعبير عن العَجَبِ الذي يتملكه من تقلبات الزمن ودورانه، فقد عاش فترة الشباب بقوتها ونشاطها وحيويتها وطيشها، وعاش فترة الشيب بحكمتها ووقارها ورزانتها وضعفها.

وبفعل تقلبات الدهر ذاق شاعرنا الفقر بصعوباته ومآسيه، وهوان أهله على الناس، وفي المقابل فقد حالفه الحظ في أن يجرّب الثراء وجلاله، وما يلقاه أهله من نظرات الإعجاب وكلمات التبجيل، ثم نجده يعترف _بصراحة لا مراء فيها_ أنه في كل السنين التي عاشها، والظروف التي تعاقبت عليه، منذ أن كان يافعا أمردا، وإلى أن صار كهلا يشتعل رأسه شيبا، يعترف أنه كان يطارد حلما وحيدا، ويسعى سعيا حثيثا لتجسيده على أرض الواقع، وهذا الحلم ليس سوى البحث عن ثراء المال حيث وجده.

إن من يتأمّل مقدمة هذه القصيدة سيجد أنها تعبر تعبيرا صادقا عن إحساس الأعشى بمرارة الأسى، وشعوره بقسوة الفراق، وألم الفقدان، وأنها تدخل ضمن المقدمات التي أهمل ابن قتيبة الحديث عنها، لأن تيمة (شكوى الدهر) هي التي طغت على هذه المقدمة.

وإذا انتقلنا إلى الطور الثاني من أطوار بناء قصيدة المدح فسنرى أن شاعرنا لم يستسلم لآلامه، ولم يرض البقاء في أرض الأحزان، فأزمع الرحيل إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحثا عن حياة أفضل، لكونه يعلم أنّ محمدا عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ولذلك نجده في البيت السادس يبدأ في وصف رحلته وراحلته، فيقول إنه كان يسافر فوق ظهر ناقة قوية، تمتاز بقوة التحمل، فتقطع المسافات الطويلة التي تفصل بين النجير في اليمن، وصرخد في العراق، وهي تعدو مسرعة.

ثم نجد شاعرنا في البيتين السابع والثامن يقرر أن يجيب سؤالا طُرِحَ عليه من قِبَل من كان يهتم لأمره، ويأبه لشأنه، حين رآه قد حزم أمتعته وقرر الرحيل، فسأله عن وجهته التي يقصد في سفره هذا، فقال له الأعشى إنه سييمم وجهه شطر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم (يثرب).

ومن البيت التاسع وحتى البيت الحادي عشر نجد الأعشى يؤكد أنّ ناقته تصل الليل بالنهار في هذا السفر، فإذا أظلم الليل تسير تحت أنظار رقيبين لا يفارقانها طوال الليل، وهذان الرقيبان هما نجما (الجدي) و(فرقد)، وإذا جاء النهار فإنها تندفع مسرعة وهي تجدف بيديها السليمتين في ليونة ومرونة، لا مبالية بشدة

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

الحر في وقت الهجير، وهو وقت يضطر فيه الحرباء إلى أن يستقبل الشمس بوجهه، فيتراءى للناظر إليه كأنه مصاب بمرض (الصاد).

ونلحظ أن الشاعر أحسن التخلص في البيت الثاني عشر إلى غرضه، فقد انتقل في يسر وسلاسة من وصف رحلته إلى غرض القصيدة دون اختلال في النسق، أو تباين في أجزاء النظم، فأقسم أن لا يرأف لحال ناقته، وأن لا يخفف عليها من وعثاء السفر، وشدة التعب حتى توصله إلى باب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_، والبراعة التي أظهرها الأعشى في حسن تخلصه إلى الغرض، تَدُلّ على طول مراسه لطرائق قرض الشعر، وتَمَكّنه من فنياتها.

وفي الطور الثاني من أطوار بنية قصيدة المدح نجد أن الشاعر قد اتخذ الناقة رفيقا وصديقا يواسيه في أحزانه، ويتحمل معه قسوة الظروف، ويعاني معه نفس المعاناة، ويعينه على نوائب الدهر، ويساعده على تجاوز الصعاب، ويوصله إلى بر الأمان، إن وصف الرحلة والراحلة هو (التيمة) التي ترمز للتحدي وإثبات الذات من خلال الصراع الذي يخوضه الشاعر الجاهلي مع الطبيعة فرارا من الموت وبحثا عن الحياة، هربا من الخوف وطلبا للأمان...

وفي البيت الثالث عشر يقول الأعشى إن ناقته إذا ألقت عصى التسيار عند باب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فإنها سترتاح راحة تامة، وستجد نصيبا من كرم رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وجوده.

وقد اهتدى شاعرنا في البيت الرابع عشر إلى صورة بديعة، حين قال إن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يرى ما لا يراه غيره من الناس، في إشارة إلى معجزاته _صلى الله عليه وسلم_، وما أطلعه الله عليه من أمور غيبية تؤكد نبوته، وتفحم أعداءه، ثم نجده يعود إلى استخدام أسلوب الثنائيات الضدية من خلال طباق الإيجاب (أغار وأنجدا) ليقول إن دعوة رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ قد انتشرت في الآفاق، وبلغت كل مكان.

ويواصل الأعشى توظيف أسلوب الثنائيات الضدية في البيت الخامس عشر ولكن هذه المرة من خلال المقابلة (عطاء اليوم، مانعه غدا) ليؤكد أن كرم رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ ليس له مثيل، لأنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فعطاياه وصدقاته لا تنقطع، حيث لا يمنعه عطاء اليوم من أن يجزل العطاء غدا.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

وفي الأبيات السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر نرى الأعشى يحثّ الناس على العمل بوصية رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ التي أوصى فيها الناس بالتزود بالتقوى في رحلتهم إلى الدار الآخرة، لأنّ من أهمل هذه الوصية سيندم على عدم العمل بها في وقت لا ينفع فيه الندم، وكأن الأعشى هنا يشير إلى قوله تعالى: {{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}} [البقرة: 197]، وإلى قوله صلى الله عليه وسلم: ((سُئِل رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أكثَرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فقال: تَقوى اللهِ، وحُسنُ الخُلُقِ، وسُئِل عن أكثَرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فقال: الفَمُ والفَرجُ))، رواه الترمذي.

وفي البيتين التاسع عشر والعشرين يدعو الأعشى إلى تجنب ما نهى الله ورسوله عنه من أكل لحم الميتة، والتقرب للأصنام بالقرابين، وعبادة الأوثان، ويحث على إخلاص العبادة لله الواحد الأحد، ويتضح من هذا البيت تأثره بقوله تعالى: {{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}}، [المائدة: 3].

ومن البيت الحادي والعشرين إلى البيت الثالث والعشرين يدعو الأعشى إلى المحافظة على الصلاة في كل وقت وحين، والإكثار من شكر الله على نعمه وآلائه، وإلى إعطاء السائل، والرحمة بالأسير، ثم ينهى عن الشماتة بالبائس الذي مسه الضر، وهذه الأبيات تتضمن إشارة إلى الآيات التالية: {{ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}} [آل عمران: 41]، و{{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}}، [الذاريات: 19]، و{{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ}}، [الحجرات: 11].

وفي البيت الرابع والعشرين الذي يشكل خاتمة القصيدة، وخاتمة القصيدة أطلق عليها النقاد العرب القدماء اسم (المقطع) وحثوا الشعراء العرب على الاهتمام بها لأنها قاعدة القصيدة وآخر ما يَعْلق منها في أذهان المتلقين، نجد الأعشى يدعو إلى بعض القيم الكبرى التي ينادي بها الإسلام مثل العفة والحياء، من خلال حَثّ الرجال على الزواج واجتناب الرّيَب، فهو في صدر هذا البيت يشير إلى قوله تعالى: {{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}} [الإسراء: 32]، وفي عَجُز البيت يلمح إلى قوله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وِجاء) رواه البخاري.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة نستنتج أن قصيدة الأعشى قد تضمنت كل العناصر التي يجب توافرها في قصيدة المدح حتى تكون مرضية عند النقاد العرب، ومتقبلة من قِبل أصحاب الأذواق الصحيحة _كما يقول حازم القرطاجني_ .

فقد اشتملت هذه القصيدة على مقدمة شكا فيها الأعشى من وجع الدهر وصروفه، كما تضمنت وصفا لرحلته نحو رسول الله _صلى الله عليه وسلم_، ووصفا لراحلته التي استعان بها في هذه الرحلة، ومن وَصْف الرحلة أحسن الأعشى التخلص إلى العنصر الثالث من عناصر بنية القصيدة وهو غرض المدح الذي أجاد فيه الأعشى، وأظهر فيه إلماما معتبرا بالمصالح التي يسعى الإسلام إلى جلبها، والمفاسد التي يريد درءها.

وأخيرا وليس آخرا فإن من يتأمل الأبيات الأخيرة من هذه القصيدة سيتوصل إلى أن الأعشى كان لديه إلمام جيد بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وعليه فإنّ القصة المشهورة التي تقول إنه عدل عن اعتناق الإسلام بعد ما علم أنّ شرب الخمر محرم شرعا لا تبدو منطقية، لأنه من المستبعد أن يعلم الأعشى كل هذه الحقائق عن الإسلام ويجهل تحريم الخمر! وعليه فإنّنا نرجح أن يكون حب المال والبحث عن الثراء هو السبب الذي جعل الأعشى يُفضّل النوق المائة التي أهدتها له قريش على الدخول في الإسلام، والدليل على ذلك هو البيت الخامس من هذه القصيدة الذي اعترف فيه الأعشى بشكل جلي أنه منذ كان صبيا طائشا وإلى أن صار شيخا وقورا لم يكن يطارد شيئا مثلما كان يطارد حلم الثراء.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- ابن قتيبة، (عبد الله بن مسلم)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، 1958، الطبعة الثانية، جزءان، دار الحديث، القاهرة، مصر.
- الأعشى الكبير، (ميمون بن قيس بن جندل)، الديوان، تقديم: محمد حسين، 1950، الطبعة الأولى، الإسكندرية، مصر.

- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، 1986، الطبعة الثالثة، جزءان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- وهب رومية، بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح نموذجا)، 1997، الطبعة الأولى، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
- يوسف بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، 1982، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بيروت، لبنان.